حين يُعاد تشكيل الدين باسم التجديد

بين تحرير العقل وتحريف النص

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسوله الكريم... أما بعد:

في هذه الأيام تكثر طروحات تُقدَّم تحت عناوين جذابة مثل :*تحرير العقل، والقراءة المعاصرة، والتجديد*، ويُروَّج لها على نطاق واسع، خاصة بين الشباب، وبالأخص ذوي الثقافة السطحية أو غير المتأصلين علميًا.

وهذا المنهج ليس جديدًا، بل هو امتداد لمدارس فكرية معروفة، يتبناه اليوم عدد من المتصدرين لهذا الطرح (مثل: شحرور وأبو عواد، ويقترب منه – بدرجات متفاوتة – بعض من ظهروا لاحقًا مثل: عدنان إبراهيم)، كما أنه يمثل منهج غالبية منكري السنة، ويشكّل مرحلة انتقالية عند كثير من الملحدين من خلفية إسلامية؛ حيث يبدأ بإعادة تفسير النصوص، وينتهي بالتشكيك في أصول الدين.

وليس الإشكال في أصل السؤال ولا في مبدأ الاجتهاد، فذلك مشروع إذا انضبط بأصوله؛
لكن الخلل حين يتحوّل هذا الطرح إلى إعادة تشكيلٍ لمنهج الفهم نفسه، بجعل العقل المعاصر مرجعية حاكمة، وإعادة تفسير النصوص وفق التصورات الحديثة، بعيدًا عن الفهم الذي استقر عليه علماء الأمة.

وهنا لا يعود الأمر مجرد "قراءة جديدة"، بل يتحول إلى تغييرٍ في مصدر التلقي: من وحيٍ يُفهم بضوابطه، إلى نصٍ يُعاد تشكيله وفق الأذواق والاتجاهات.

وقد يبدو هذا الطرح ضعيفًا عند من لديه تأصيل، لكنه يكتسب جاذبية لدى كثير من الشباب؛ لا لقوته، بل لأسلوبه وشعاراته .وغالبًا ما ينقسم المتأثرون به إلى صنفين:

- من انخدع به لقصورٍ في الفهم، فظن أنه تجاوز الموروث.
- ومن وجد فيه مخرجًا من التكاليف، فمال إليه موافقةً لهواه.

وفي كلا الحالين، النتيجة واحدة :الابتعاد عن المنهج الصحيح في فهم الدين.

ومن أبرز أدوات هذا الاتجاه:

الانتقاء من النصوص، وإبراز ما قد يُشكل منها أو يُفهم على غير وجهه، ثم عرضه مجتزأً أو بسخرية، لا للفهم، بل للتشكيك في السنة والموروث. كما يُستغل الخلاف بين العلماء وسقطات بعضهم، بل وما ورد في كتب التراث عبر قرون، ليُقدَّم على أنه صورة الدين كله، لا استثناءاته.

ومع ما نشهده من خلافات بين بعض المنتسبين للعلم، يجد هذا الطرح مادة جاهزة، فيُحمّل الدين تبعات هذه الممارسات، ويُصوّره على أنه تراث مضطرب لا منهج راسخ.

قال تعالى :﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾

فمنهج الانتقاء ليس جديدًا...
ولكن الجديد هو **أسلوب عرضه، وسرعة انتشاره، وتأثيره على غير المتأصلين**.

نماذج من تطبيقات هذا المنهج وما يؤدي إليه

1. **في تعريف الزنا والعلاقات :**يُعاد تعريف الزنا ليقتصر على الاعتداء أو الإكراه، بينما تُعتبر العلاقة برضا الطرفين – خارج إطار الزواج – أمرًا مقبولًا أو غير داخل في مفهوم الزنا الشرعي .
2. **في الصلاة وعددها وهيئتها** :يُطرح أن الصلوات ليست خمسًا بالضرورة، بل يمكن أن تكون صلاتين أو ثلاث فقط، دون تحديد واضح لعدد الركعات أو كيفية الأداء .
3. **في الحجاب واللباس الشرعي** :يُختزل الحجاب إلى مفهوم عام للاحتشام دون ضوابط، ويُترك الأمر للذوق والعرف .
4. **في فهم القرآن والمصطلحات :يُقدَّم** تفريق بين "الكتاب" والقرآن" يُبنى عليه تغيير في فهم الأحكام .
5. **في السنة وحجيتها :يُقلَّل** من شأن السنة، أو يُدعى إلى الاكتفاء بالقرآن، أو يُفرَّق بين ما صدر عن النبي ﷺ كرسول فيُلزم، وما صدر عنه كنبي فيُجعل غير ملزم .
6. **في الغيب (الجنة والنار) :**تُفسَّر الجنة والنار تفسيرًا رمزيًا أو نفسيًا، لا على حقيقتها .
7. **في تعريف المسلم والمؤمن :يُعاد** تعريف المسلم بأنه كل من سلم الناس منه، والمؤمن بأنه كل من تبنّى قيمًا إنسانية، حتى يُقال إن بعض المجتمعات غير المسلمة أقرب إلى "الإسلام" أو "الإيمان" من المسلمين أنفسهم .
8. **في الحلال والحرام :يُحصر** الحرام في ما ورد في القرآن فقط، ويُجعل ما ورد في السنة كأنه تنظيم إداري أو تاريخي غير ملزم .
9. **في طبيعة الشريعة** :يُقال إن كثيرًا من الأحكام كانت لزمنها فقط، ويمكن تجاوزها اليوم .
10. **في تقييم الواقع المعاصر :يُطرح** أن بعض المجتمعات الغربية أقرب إلى "روح الإسلام" من المجتمعات الإسلامية .

هذه الأمثلة ليست حصرًا، بل هي نماذج تُظهر ملامح هذا المنهج وما يمكن أن يؤدي إليه.

الخلل في هذا المنهج ومنهج أهل السنة والجماعة

الأساس في الخلل هنا هو **مخالفة منهج أهل السنة والجماعة في فهم الدين.**

فمنهج أهل السنة **يقوم على أن الوحي هو الأصل، وأن النصوص تُفهم في ضوء القرآن والسنة، وفهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان، وأن العقل وسيلة لفهم الوحي، لا لإعادة تشكيله.**

أما هذا المنهج، فقد انقلب فيه الميزان؛ فأصبح العقل المعاصر هو المرجع، يُقبل من النص ما وافقه، ويُؤوَّل أو يُرد ما خالفه، وتُعاد صياغة المفاهيم، ويُفتح باب التأويل بلا ضابط، حتى يفقد النص معناه المستقر.

وهذا المسلك ليس جديدًا، بل هو شبيه بما وقع فيه من قبل من حرّفوا دينهم، كما قال تعالى:
﴿**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾ لكن الفرق أن القرآن محفوظ بحفظ الله :﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾

فلا يمكن تبديله، وإنما يقع التغيير في الفهم والتأويل.

ومع انتشار الثقافة السطحية، وضعف التأصيل، يُخشى أن يزداد هذا الاتجاه، خاصة مع ما يقدّمه من صورة لما يمكن تسميته بـ **"الدين المخفف" أو "الدين المجاني"**؛
إيمان بلا التزام، واسم بلا حقيقة.

تنبيه منهجي: العقل والنقل

العقل ليس خصمًا للنقل، بل هو وسيلة لفهمه.
ولا يوجد في النقل الصحيح ما يخالف العقل السليم.

لكن إذا جُعل العقل هو الحاكم، فالسؤال :**أي عقل؟**
عقل زيد أم عمر؟

والعقول تختلف وتتباين، فإذا صار كل عقل مرجعًا، أصبح الدين تابعًا لتعدد الأفهام.

ولهذا فالأصل :**النقل هو المرجع، والعقل السليم وسيلة للفهم، لا للتغيير.**

الخاتمة

القضية ليست في رفض التجديد، بل في حفظ الأصل .فالتجديد الحق هو العودة إلى الوحي، لا إعادة تشكيله .فالميزان ليس في الجديد والقديم، بل في الحق والباطل .وكل طريق يُبعدك عن هذا الأصل، مهما بدا لامعًا، فهو طريق يُراجع... لا يُتبع.

هذا والله أعلم...
اجتهدت، فإن أحسنتُ فهذا توفيقٌ من الله،
وإن أخطأتُ فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله...

والحمد لله رب العالمين على نعمة الإسلام،
ونسأل الله الثبات على الحق، والبصيرة في الدين،
وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا...